كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

اقتصاديات التعاون المفتوح

حلول.. تُوحِّد العالم والعقول

تأليف:

دون تابسكوت

أنتوني ويليامز

28

في ثوانٍ...

لا تتهيأ ظروف النجاح والاستمرارية لأي عمل أو مشروع أو حتى علاقة إنسانية إلا بتوفر شرطين أساسيين وهما روح التعاون والمشاركة، فعلاقتنا مع عائلاتنا وأولادنا ومجتمعنا بالكامل عمادها التعاون والمشاركة، وكذلك علاقاتنا العملية والمهنية تتطلب وجود روح فريق العمل والمشاركة في وضع الأفكار والتنفيذ. وتبرز أهمية قيم التعاون والمشاركة كونهما من الأعمدة الأساسية التي تبني أساسيات الثقة المتبادلة بين الأطراف، وهذه الثقة بدورها تظل عاملاً حاسماً يعزز من تحقيق العلاقات؛ المهنية منها أو الاجتماعية، نتائجها المرجوة وغاياتها المأمولة.

وليس أقوى من مثال تاريخي يحضرني هنا حول أهمية التعاون والمشاركة في مسيرة النجاح والتقدم، من اتحاد دولتنا الذي يقول عنه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي "رعاه الله" : إن أحد أهم أسباب نجاحه هو روح الفريق الواحد التي زرعها مؤسسو دولة الإمارات في نفوس أبناء الوطن كافة، والطريق للأمام هو عبر تقوية هذه الروح. وبالفعل أكدت الأيام أن قيمة هذه الروح ومساهمتها بشكل كبير وفعَّال في نهضة وتنمية وطننا حتى أصبح اليوم من الدول التي يشار إليها بالبنان.

ومن منطلق حرصنا في مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم على الارتقاء بالمستوى الثقافي للمجتمع وتقديم أفضل نتاجات فكرية لأهم الكُتَّاب العالميين، أصدرت المؤسسة ملخصات الدفعة الجديدة لمبادرة "كتاب في دقائق"، والتي تُسلط الضوءَ على ثلاث قضايا يتناول بعضها دور التعاون والمشاركة، وتناقش سلوك الثقة في النفس، ومفهوم الاستحقاق في تربية الأبناء، إضافة إلى اقتصاديات التعاون المفتوح.

ويتناول ملخص الكتاب الأول "الثقة في النفس... تحويل عدم تقدير الذات إلى إنجازات ونجاحات"، آليات النجاح في رفع مستويات ثقتنا بأنفسنا، وكيفية ربط الثقة بالنفس بعوامل مثل: القدرات والإمكانات والموهبة لتحقيق الإنجازات في نهاية المطاف. فيما ينقلنا ملخص الكتاب الثاني "مصيدة الاستحقاق... نحو قيم أسرية عمادها الاستثمار والاختيار" إلى مخاطر أسلوب الاستحقاق المطلق في تربية الأبناء، والذي يعتاد الطفل من خلاله على التدليل المفرط والغرور والكسل وبالتالي يكبر بلا أدنى درجة من تحمل المسؤولية أو الطموح أو الاستقلالية. و يسلط ملخص الكتاب الأخير "اقتصاديات التعاون المفتوح... حلول تُوحِّد العالم والعقول" الضوء على تحوِّل العالم إلى الإنترنت وما نتج عنه من اقتصاد رقمي أدى إلى تكوين نماذج أعمال مفتوحة تعتمد على تعاون كافة المشاركين.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أتمنى لكم ولعائلاتكم قراءة شيقة ومفيدة للدفعة الجديدة من ملخصات مبادرة "كتاب في دقائق".

جمال بن حويرب

العضو المنتدب لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

نقطة تحوُّل

حين نتأمَّل الماضي نسترجع اللحظة الفارقة التي تحوَّل فيها العالم من الرأسمالية الصناعية إلى شكل اقتصادي جديد يعتمد على مبادئ ونظم غير معهودة. فبينما قدَّمت الطباعة للبشرية إمكانية نشر الكلمة؛ حوَّل الإنترنت الناس العاديين إلى ناشرين وهكذا أوجد الإنترنت منصَّة مشتركة للتواصل وتعزيز التعاون والتعلُّم الجماعي. من هنا برز دور الإنترنت كنافذة مفتوحة نطل من خلالها على عالم من التلاحم المجتمعي والتعاون الاقتصادي المفتوح. ومع أن فكرة التعاون والعمل الجماعي المفتوح بين الفرق المتشاركة والمتباعدة ليست جديدة، إلا أن نموذج الأعمال الجديد الذي نشأ في ظل الاقتصاد الرقمي أتاح الفرصة لكلِّ الناس بأن يعملوا على مشروعات مشتركة من دون أن يعرف بعضهم بعضاً أو من دون أن يلتقوا من قبل.

في ظل النموذج الجديد بدأت مجموعات عمل تجمعها تخصُّصات واهتمامات مشتركة بالتواصل وتكوين نماذج أعمال مفتوحة تعتمد على جميع المشاركين وتهدف إلى استثمار المدخلات وابتكار المخرجات عبر "فوضى منظمة" وفرق افتراضية تنتشر حول العالم مستخدمة تقنية (الويكي). مع أنَّه لا يجمع هؤلاء المطوِّرين أي عامل مشترك سوى الإنترنت والاهتمامات المشتركة وقاعدة بيانات بسيطة. يعمل هذا النموذج المتحرِّر بتلقائية وجماعية فعَّالة مستخدماً تقنية معلومات شفافة، أي أنَّ للجميع الحقَّ في استخدامها والدخول إليها وتحرير محتوياتها بالإضافة أو الحذف أو التعديل أو المراجعة. فهي تقنية مؤسَّسية وفردية حرَّة وتلقائية.. في نفس الوقت.

تعريف "الويكينوميكس"

يجمع مصطلح "ويكينوميكس" بين كلمتي: "إكونوميكس" أي اقتصاد و "ويكي" التي تطلق على أحد تطبيقات الإنترنت والذي يسمح لمستخدميه بإضافة وتعديل وتحديث محتويات وبيانات أعدها آخرون بشفافية وعبر نظام مفتوح. وكان مؤلف هذا الكتاب "دون تابسكوت" هو أول من صاغ هذا المصطلح في أحد كتبه عام 2006 ليتناول الدور الحيوي الذي لعبته شبكة الإنترنت في تطوير عالم الأعمال. ومن ثمَّ يشير مصطلح "ماكرويكينوميكس" إلى الاستخدام المجتمعي الموسَّع لتطبيقات التعاون والتشارك الذي انعكس صداه على شتَّى مناحي الحياة. فمن خلال الإبداع الجمعي والتواصل المعرفي الذي أتاحته الإنترنت حدثت طفرة جديدة امتدَّت لتشمل أفرادَ ومؤسَّسات المجتمع ككل. ومن ثمَّ تمكنت المؤسسات والمجتمعات من المبادرة والمواكبة ودفع عجلة التطوير من البيوت والمكاتب والمؤسَّسات والمنظمات المعرفية والعلمية والمجتمعات الأوسع نطاقاً أيضا.

"إعادة تشغيل" العالم

في حين تواجه معظم المؤسَّسات أشكالاً متعددةً من الأزمات في الإدارة والمنافسة والنمو هناك نظرة مستقبلية أكثر تفاؤلاً وإثارةً للفضول لأنها توفر للأفراد والمنظمات التقليدية والحديثة مداخلَ وتقنيات جديدةً تمكنها من الاضطلاع بأدوار أكثر فعالية على كل المستويات الشخصية والمؤسسية والمحلية والدولية. وهذه هي فكرة "التعاون المفتوح".

يُمكِّن عالم "الويكي" المؤسَّسات من استثمار مصادرَ جديدة للأفكار بعدما اعتادت على العمل المغلق والخروج للأسواق بابتكارات أعدَّتها في سرية تامَّة لتشارك وتستفيد من البوتقة العالمية التي تمتزج فيها الأفكار وتتصهر فيها المواهب لتنفتحَ وتتدفقَ وكأنها شلالٌ زاخرٌ بالطاقات والإمكانات. ففي ظلِّ اقتصاد المعرفة المفتوح سيتمكَّن العلماء من زيادة وتيرة عمليات البحث العلمي بجعل التطبيقات والبرامج التي يستخدمونها مفتوحة المصدر مما يتيح لكلِّ باحث – مبتدئاً كان أو محترفاً – فرصة المشاركة في الاستكشاف والاستنتاج والابتكار. فيمكن – مثلاً – أن يتعاونَ الأطباءُ مع الجمعيات الأهلية والمرضى في تبادل الرؤى حول الحالات الطبية المتماثلة ويقدموا الدعمَ بعضُهم لبعض مما يتمخضُ عن تقدمٍ متسارعٍ في البحث العلمي والطبي.

مبادئ نموذج الأعمال المفتوح

يقوم اقتصاد "الويكي" على خمسة مبادىء هي: التعاون والانفتاح والمشاركة والنزاهة والترابط. هذه المبادىء لا تفيد عالم الأعمال فحسب بل يمكن أن تجعلَ عالمَنا بأسره مكاناً آمناً ومزدهراً وعادلاً.

◆ التعاون

في ظلِّ تقنيات تختبرُ الحدودَ القصوى للإبداع البشريِّ وفي بيئة اقتصادية عالمية لا تنفكُّ تزدادُ تعقيداً وتشابكاً أصبحت فرصُ نجاح المؤسَّسات التقليدية ذات الهياكل الهرمية ضئيلة جداً. لأن ترابطَ وتكاملَ وسرعةَ الكيانات المنظَّمة ذاتياً، جعل النماذجَ التقليديةَ لإدارة المؤسَّسات واهيةً للغاية. فالعلم والتكنولوجيا يتطوَّران بسرعة لا تُمكِّن المؤسسات من التميز في كل المجالات، كما لا تُمكِّنها من الاضطلاع بعمليات الابتكار والإنتاج بمفردها أو الاحتفاظ بكل الموهوبين بداخلها. من هذا المنطلق بدأت المنظمات الذكية تحرص على التعاون مع الكيانات والأشخاص القادرين على مساعدتها في كلِّ أنحاء العالم. فقد تَحَوَّلت دوائرُ التعاون الضخمة والمتشابكة عبر الإنترنت إلى طريقة قوية للتشغيل والتفعيل والقفز على المراحل مع توزيع ثمار نتائجها على كل من يشارك فيها.

◆ الانفتاح

لكلمة "الانفتاح" دلالاتٌ كثيرةٌ منها: الصراحة والشفافية والمرونة والاتساع والمشاركة. ومع ذلك قلَّما تُستخدم هذه الكلمةُ لوصف العديد من النشاطات الاقتصادية المؤثِّرة في المجتمع. فعندما يتعلق الأمر بالتشارك في المعلومات نجد أنَّ السرية هي الثقافة المسيطرة في أغلب المؤسَّسات. في الماضي كانت كل المؤسَّسات مغلقةً لأنها قلَّما كانت تحتاج إلى مساعدات خارجية متخصصة وفورية إذ كانت تحتفظ بالمعلومات لنفسها وخاصَّة ما يتعلق منها بأخطائها وبنقاط ضعف منتجاتها. وكانت المنظمات الرسمية تعمل على حماية بياناتها وإبقائها بعيداً عن متناول الجمهور. فعلى سبيل المثال كان المرضى يعتبرون كل الخدمات الطبية غامضةً وبعيدةً عن الشفافية. وكان العلماء يتذمرون من القوانين التي تبقي اكتشافاتهم العلمية المهمَّة في طيَّ الكتمان. أمَّا الآن فإن المؤسسات التي ترفضُ الانفتاحَ على العالم والجمهور تغامر ببقائها وقدرتها على المنافسة ناهيك عن التميز.

◆ النزاهة

تنطلق المسؤولية المجتمعية للمؤسسات من فكرة يلخصها شعار: "أنت تتفوق على الغير عندما تفعل الخير". وقد قاد هذا الشعارُ المؤسَّساتِ إلى تبنِّي سلوكيات مسؤولة تجاه المجتمع والبيئة. في حين تمسكَّت مؤسساتٌ أخرى بسلوكيات ضارة لها ولمجتمعاتها؛ فركَزَّت على تحقيق الأرباح من خلال سرقة الأفكار الإبداعية وممارسة أعمال غير نظامية فضلاً عن السلوكيات الاحتكارية والإضرار بالبيئة. ثم اضطرت المؤسسات للتحَوُّل عن هذا الفكر الأناني والعمل بنزاهة، حين بات المستهلكُ في زمن الاقتصاد الشبكي المفتوح يعرف ويراقب كلَّ شيء ويعاقبُ أي تصرُّف غير نزيه، من قبل أية مؤسَّسة. وهكذا تحوَّلت النزاهةُ من سلوكٍ أخلاقي مثالي إلى فعل عملي يعبر عن تفكير براجماتي يُحققُ مصالحَ كافةِ الأطراف.

◆ المشاركة

إذا كانت فكرة الانفتاح تدور حول التواصلِ لطرح ومناقشة المعلومات بشفافية بين ذوي المصالح في الحكومات والمنظَّمات فإنَّ المشاركةَ تدورُ حولَ الإفصاحِ عن تلك المعلومات وتبادلِ الأصولِ الفكريةِ مع جهات متعددة بإتاحة بياناتها وأصولها الفكرية، ليستفيد منها المهتمون مع توثيق اتفاقيات قانونية تحفظ لكل طرف حقه. ومن الحكمة طبعاً أن تتحكَّمَ المؤسَّساتُ بمواردها – لا سيما الفكرية منها – من خلال براءات الاختراع والعلامات التجارية المسجلة. ولكن الكثير من المؤسسات العالمية حلَّت هذه المعضلة بعدما وجدت أنَّ الحفاظ والدفاع عن كل ما يخصها بشكل صارم قد يشلُّ قدرتها على الإبداع ويحرمها من خلق قيمة مضَافة. فبدأت المنظمات الذكيَّة تتعامل مع الملكية الفكرية باعتبارها صندوقَ تمويل مشترك يضمُّ حزماً من الأصول المعلوماتية بعضها محمي بالكامل وبعضها يشارك فيه الجميع.

◆ الترابط

في زمن يرتبط فيه الإنسان بالأشياء وبكلِّ ما حوله من خلال شبكاتٍ زجاجيةٍ ورقمية لا مرئية لا يمكن لأيِّ عمل أو منظَّمة أو وكالة حكومية أو دولة أو مجتمع أن يعمل بمعزل عن العالم. فقد بدأ الانهيارُ الاقتصاديُ في مكاتب الرهن العقاري الأمريكية ثمَّ اجتاح "وول ستريت" ووصل في لحظات إلى "لندن" و"آسيا" حتى غمر العالمَ كالطوفان. حينها أدرك المشرِّعون ورجال الأعمال أنه يجب تنسيق الجهود لإجراء تغييرات في القوانين والمعايير المحاسبية العالمية لتجنُّب تكرار هذه الأزمة المالية. والآن يدرس المشرِّعون وصانعو السياسات هذه المسألة لوضع التدابير الوقائية المستقبلية لتجنُّب الآثار السلبية للترابط الكوني والاستفادة منه بشكل إيجابي.

إعادة فهم كوكبنا

قدَّمت أدوات الإنترنت المجانية مثل "جوجل إيرث" الكثيرَ من العونِ للعلماء وصانعي السياسات؛ فأتاحت المعلوماتِ التي كان من الصعب الوصول إليها في الماضي للجمهور على أوسع نطاق. تساعد هذه الأدوات في عرض المعلومات في شكل صورٍ بصريةٍ واضحةٍ مما يساعد في شرح الظواهر المعقَّدة التي يصعب فهمها وبطرق بسيطة يمكن لأيِّ شخص أن يفهمها. يقدِّم "جوجل إيرث" مثلاً منصَّةً مثاليةً لتعزيز فهمنا لتأثير أفعالنا البشرية على المحيط الحيوي في كوكبنا، بدءاً من تحديد أماكنَ تسرُّب النفط في العالم ومعرفة تأثير ارتفاع مستويات البحار، وانتهاءً بمعرفة نصيب الفرد من انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون. ولأن التشخيص هو نصف العلاج فإنه يصبحُ من الأسهل اتخاذُ الإجراءاتِ اللازمة لوضع الحلول الكونية وتنفيذها.

تعقيدات التعاون والمشاركة

ينطوي التعاونُ في الابتكار على بعض الجوانب السلبية. فقد تفيد البرمجياتُ المفتوحةُ المصدرِ الكثيرَ من الأطراف وعلى رأسهم المستخدمين. لكنها قد تؤذي من تعتمد أعمالهم على بيع سلع وخدمات تتبع ميزتها التنافسية من تفرُّدها ومن حقوق ملكيتها التي تؤدي بدورها إلى ازدهار البحث العلمي والابتكار والإبداع. كما يمكن للمواقع الإلكترونية التي تقدم خدمات الرعاية الصحية أن توفِّر للناس معلوماتٍ موثوقةٍ لكنها قد تخلق – أحيانا – حالاتٍ من البلبلة. ولذا فإن نموذج الأعمال المفتوح ليس وصفةً سحريةً لإصلاح كل مشاكل العالم. فهو ليس بديلاً للحكومةِ الناجحة والمؤسَّسات الصالحة والصحافة المسؤولة. فالمؤسَّسات التجارية ستبقى هي المحرِّك الرئيس لأي ازدهار أو فرص عمل جديدة. وستبقى الحكوماتُ مسؤولةً عن الضمان الاجتماعي وتشريع القوانين لمصلحة مواطنيها. وستبقى الجامعات هي واحة العلم والبحث والابتكار.

ومع ذلك يمكننا أن نلاحظ كيف جعل الذكاءُ الشبكيُ الأساليبَ القديمةَ في خلق القيمة غير كافية. فالابتكار القائم على التعاون سيغيِّر من طرق تدريس التخطيط والتسويق والتسعير في كليات إدارة الأعمال. والمستهلكون سيعتبرون مبدأ: "قالبٌ واحدٌ يناسبُ الجميعَ" أمراً عفَّى عليه الزمن.

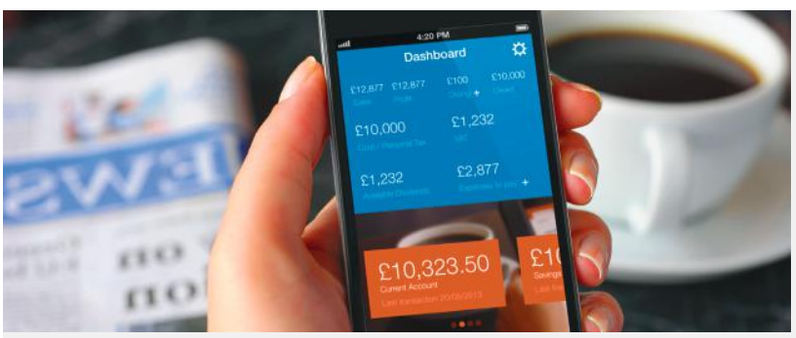

إعادة النظر في المسلمات

لقد حان الوقت لتسليط الضوء على كلِّ المنتجات والأنشطة الغامضة في قطاع المال والتي هدَّدت اقتصاد العالم بأسره. وهنا يعتبر الإنترنت منصَّة انطلاق مناسبة لذلك. يتطلب الحلُّ الرقميُ لهذه المشكلة تعاوناً على نطاق واسع يشمل كلَّ الأطراف. فالعديد من المؤسَّسات – التي تتبع نماذجَ عملٍ جديدةٍ قائمة على الانفتاح والشفافية والمشاركة – غيَّرت من ملامح سوق المال الرئيسية، بدءاً من رأس المال المخاطر وصناديق التمويل المشتركة وانتهاءً بالإقراض. فلماذا لا نطبِّق نفس المنهجية على نماذج العمل المحاسبية والأدوات المالية التي نقيِّم بها المخاطر بأن تصبحَ مفتوحةً ومتاحةً للتدقيق من قبل خبراءَ لديهم معرفةٌ كافيةٌ في فحص هذه الأدوات.

التمهيد للابتكار.. والازدهار

للمرَّة الأولى في التاريخ أصبح من الممكن للأفراد والمؤسسات الصغيرة الاستفادةُ من كفاءات الأسواق عالمية المستوى، بالإضافة إلى خدمة العملاء بأساليبَ تضاهي أساليب المؤسسات الكبرى وكلها أمور لم تكن متاحةً في الماضي إلا للمؤسَّسات العريقة. يمكن مثلاً للشركات الصغيرة ومتوسِّطة الحجم أن تبيع منتجات في الأسواق العالمية دون الحاجة إلى تصنيع أي شيء بشكل مباشر. فبفضل خدمات كتلك التي تقدِّمها مؤسَّسة "بونوكو" في "نيوزيلندا" يمكنك تصنيع منتجاتك وتسليمها مباشرةً إلى العملاء في أي مكان في العالم دون الانخراط في عملية التصنيع. حمِّل تصميماتك

على الإنترنت واختر الموادَ التي ترغب في استخدامها وستهتم "بونوكو" ببقية الأمور بل يمكنها مساعدةُ رجال الأعمال المبتدئين في بيع منتجاتهم في أسواقها. فالأمر هنا يشبه تنفيذ عملية تصنيع منخفضة التكلفة وممارسة التجارة من مكتبك الصغير ومن حاسبك الشخصي. مثل هذه الفكرة تمكِّن المبدعين من تحويل الابتكارات إلى منتجات بأقل قدر من المجازفات والتكاليف والتعقيدات. بينما يحصل المستهلك على منتجات بأسعار أقل ومميزات أكثر. وهكذا تبشِّر نماذج التجارة الجديدة بالحدِّ من الأثر البيئي للإنتاج عبر التخلُّص من الوسطاء وعدم الحاجة إلى المزيد من تكاليف المواصلات المستخدمة في نقل المنتجات.

الاقتصاد المفتوح والطاقة النظيفة

يقترب الاقتصاد القائمُ على الطاقة غير المتجددة من نهايته بينما يتأهب اقتصاد الطاقة النظيفة ليحلَّ محلَّه. وستجني الدول التي تستخدم التقنياتِ الجديدةَ أفضل النتائج. ولذا فإن الفرص المتاحة لابتكار منتجات جديدة لا حصر لها. ومن المتوقَّع أن توجدَ الشركاتُ الذكيةُ الكثير من فرص العمل التي تتطلَّب مهاراتٍ عاليةً في مجالات الهندسة الشمسية والبرمجيات. وللفوز بهذه الفرص سنحتاج إلى دمج الاقتصاد التعاوني مع اقتصاد الطاقة النظيفة. سنحتاج أيضاً إلى التعاون عبر قطاعاتٍ مختلفة، لتطوير التقنيات الجديدة. فتجديد البنية التحتية للطاقة على مستوى العالم سيوجد منصَّاتٍ جديدةً لتقديم خدمات مستحدثة لتوفير هذه الطاقة، وسيساعدُ على تعزيز ثقافة "المستهلك المنتج" التي يصبح المستهلك في ظلِّها منتجاً نشطاً للطاقة لا مجرَّد مستقبِلٍ ومستهلك سلبي يدفع الفواتيرَ وينتظر خدمات الدولة فحسب.

ثورة المواصلات

بدأ جيل جديد من رجال الأعمال البارعين والعاملين في مجالات المواصلات في ابتكار منهجيات متطوِّرة لقطاع النقل الذي كان غارقاً في المشاكل فيما مضى. فقد ساعدت نماذج العمل والاستثماراتُ الجديدةُ في تحقيق تغيير جذري في هذا القطاع؛ بدءاً من اللحاق بالتكنولوجيا المتقدمة وانتهاءً بطرح جيل جديد من السيارات عالية الكفاءة. ويجري حالياً بناءُ أشكالٍ جديدة من البنية التحتية للمواصلات واختبارها. كما ظهرت خدمات مبتكرة للمشاركة في استخدام السيارات – كتلك التي تقدِّمها مؤسَّسة "زيبكار" – في إعادة تشكيل فكرة ملكية السيارة. وتسود العالم اليوم موجةٌ من التطبيقات التي يخدم بعضها مدناً كاملة والتي تُوفِّق بين صاحب السيارة ومن يشاركونه خدمات الذهاب والعودة من العمل. وتساهم تطبيقات أخرى في نشر الأخبار اللحظية من السائقين ومرافقيهم عن حالة الطرق فتساعد الجميع على تحويل اتجاهاتهم وتجنب الازدحامات المرورية الخانقة.

التعليم التعاوني

يعتمدُ التعليمُ في النموذج التقليدي إلى حدٍّ كبير على قدرة الطالب على تخزين المعلومات مع القدرة على استرجاعها في أوقات الامتحانات. ويقتصر دور المعلم على بث المعلومات بطريقة مبسَّطة للتلاميذ الذين عليهم استقبالها كما هي. وبالنسبة لتلاميذ اليوم يعتبر هذا النموذج في "بثِّ المعلومات" قد عفَّى عليه الزمن.

في السابق كنا نتخرَّج في الجامعة مستعدين لمواجهة الحياة. والآن تؤهِّلنا الجامعات لمواجهة الحياة لمدَّة أيام أو أسابيع فقط، فإذا كنت تدرس منهجاً تقنياً ستجد المعلومات التي درستها ونجحت فيها عديمة الفائدة قبل أن تصل إلى السنة الأخيرة في الجامعة. لا شك في أنك تحتاج إلى معرفة واسعة وهذا هو ما تجنيه من الدراسة الجامعية اليوم، إذ لن يمكنك الاستعانة بـ"جوجل" في كلِّ نشاط تقوم به. ولكنَّ الأهم من القاعدة المعرفية هي قدرتك على مواصلة التعلُّم مدى الحياة وعلى التفكير والعثور على المعلومات وتحليلها وعلى حلِّ المشكلات وعلى التعاون والتواصل مع الآخرين. هذه المهارات مهمَّة – بشكل خاص – لأصحاب الأعمال والمديرين المضطرين للمنافسة على المستوى الدولي فكل الأسواق اليوم أصبحت عالمية ولا ترتبط بدولة أو مدينة واحدة.

لكن مجرَّد التوسُّع في التعلُّم عن بعد ليس هو الحل الوحيد للتعليم المفتوح. كما أنَّ وصول الطلاب للمحاضرات التي يلقيها كبار الأساتذة عبر المواقع المجانية على الإنترنت مثل "أكاديميك إيرث" ليس هو الحلُّ أيضاً؛ على الرغم من أنَّ هذه الممارسات أثبتت نجاحها. الحلُّ هو التقنيات المتطوِّرة ونماذج التعليم القائمة على التواصل والتعاون والتي يمكن بلورتها في المستويات الثلاثة التالية لتغيير منظومات التعليم:

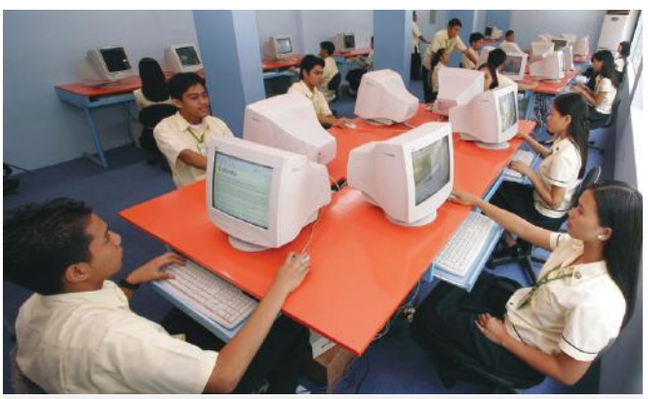

المستوى الأول: تعديل المناهج

في النموذج الجديد تضع الجامعات موادَّها التعليمية على الإنترنت وتجعل ما كان في السابق أحد أصولها الفكرية وجزءاً من ميزتها التنافسية متاحاً للعامة. لقد لعب معهد "إم آي تي" دوراً رائداً في تنفيذ هذه الفكرة واليوم تعمل أكثر من مائتي مؤسَّسة للتعليم العالي على نفس المنوال ومن بينها جامعة "ييل" وغيرها من جامعات المستوى الرفيع.

ظهرت فكرة "المناهج مفتوحة المصدر" عندما طلب معهد "إم آي تي" من أعضائه إيجاد وسيلة للاستفادة من الإنترنت لدفع عجلة التعليم العالي. فرأى أعضاء هيئة التدريس أنَّ الحلَّ هو نشر كلِّ مواد التدريس الخاصة بهم مثل: الملاحظات والمحاضرات والامتحانات عبر الإنترنت. بدأ هذا عام 2002 وبحلول 2007 اكتملت خطة نشر مناهج المعهد وشمل هذا 1800 مقرَّر دراسي يغطِّي ثلاثة وثلاثين تخصُّصاً أكاديمياً. المحتوى متاح عبر الإنترنت ويمكن لأيِّ شخص الاستفادة منه ونسخه وتوزيعه وترجمته وتعديله.

المستوى الثاني: الابتكار في المناهج

المستوى التالي هو التعاون الفعلي في وضع محتوى المناهج التعليمية. وبنفس الطريقة التي يتبعها محرِّرو موقع "ويكيبيديا" المنتشرون حول العالم لكتابة وتحديث وتحرير محتويات الموسوعة على الإنترنت، يشارك أساتذة الجامعات في وضع مواد تعليمية جديدة – مع الاسترشاد بمواد "إم آي تي" وغيرها من الجامعات المشاركة – ومن ثمَّ فتحها للعالم ليفيد منها الجميع. كما يمكن تطبيق النهج المتبع في مشروع "جامعة ويكي" الذي تنفذه مؤسَّسة "ويكيبيديا". فبدلاً من وضع مناهج ثابتة تتيح "جامعة ويكي" لطلابها تحديد المواد التي يرغبون في تعلُّمها ثمَّ يتعاون الجميع في تطوير مشروعات وأنشطة تلبِّي رغبات الدارسين. مثل هذه المشروعات هي التي ستنشِّط المجتمع الأكاديمي العالمي وتغيِّر اقتصاديات وفلسفات التعليم المفتوح.

المستوى الثالث: التعليم التعاوني

يخوض الطالب في هذا المستوى تجربةً تعليميةً "مصمَّمةً خصيصاً له" من عدَّة جامعات. يلتحق الطالب بجامعته الرئيسية ويعيَّن له مرشدٌ تعليمي مسؤول عن العمل معه لإعداد التجربة والمسارات التعليمية واختيار المواد التي سيدرسها وأماكن دراستها وتسجيل نتائج هذه التجربة. فقد يلتحق الطالب بكلية في "أوريجون" كجامعة رئيسية ثمَّ يسجِّل في جامعة "ستانفورد" لدراسة علم النفس وفي "كامبريدج" لدراسة الاقتصاد السلوكي. هذه التشكيلة المنهجية المنتقاة من جامعات بارزة تتخطَّى مجرَّد

اختيار المسار التعليمي وتنسيق مجموعة من المواد والمناهج للطالب. لأن هذا الجيل من أعضاء هيئة التدريس يعمل على ابتكار سياقات تعليمية تمكِّن طلاب العالم من المشاركة في المناقشات والمنتديات والتطبيقات ليكتسبوا معارفَ مختلفةً، ثمَّ يقدِّموا معارفَ جديدةَ للعالم باعتبارهم مجتمعاً متكاملاً من الدارسين الذين يشاركون في مواجهة ومعالجة أهمِّ مشاكل العالم.

قرب اندثار صحف الأخبار

ليست التكاليف هي المشكلة الوحيدة التي تواجهها وسائل الإعلام التقليدية في الوقت الحالي. فلو كانت شركات الإعلام تتكبَّد تكاليفَ باهظةً لمواكبة الاقتصاد المفتوح فلن تكون هناك مشكلة إذ بإمكانها توظيف التكنولوجيا الجديدة لتبدع أعمالاً أكثر ربحية. لكن المشكلة هي أنه يتم التعامل مع المعلومات المنشورة على الإنترنت بشكل مختلف عن التعامل مع المجلات والكتب والصحف الورقية. فمع تكنولوجيا "ويب 2.0" لم يعد الإنترنت مجرد أداةٍ لتصفُّح وقراءة ومشاهدة الأخبار فقط. بل أصبحَ أداةً للتواصل والتشارك وتكوين علاقات اجتماعية تؤسس لمجتمعات متصلة رغم التباعد الجغرافي لأعضائها. هنا يشترك "المستهلكون المنتجون" في جمع وتصنيف الأخبار والتعليق عليها وقد يصل بهم الأمر إلى صناعة الأخبار. وقد امتد كلُّ هذا إلى كل وسائل الإعلام وكافة أشكال المحتوى بما في ذلك الموسيقى والأفلام والتلفزيون والأخبار. في الواقع لم يسبق للقدرة البشرية على الجمع والتحليل والتأليف والإبداع والإنتاج والعمل والأداء مثلما تفعل الآن. فهناك ألف تغريدة تنشر على "تويتر" كل ثانية. ويضاف "لـ فيسبوك" 2.5 مليار صورة شهرياً كما يسجل "يوتيوب" أكثر من مليار مشاهدة يومياً وهناك أرقام ضخمة لمواقع أخرى كثيرة – ضخمة لدرجة تجعلك تشكُّ في صحتها، مما يؤكِّد أنَّ الناس يقضون على المواقع الإلكترونية وقتاً أطول ممَّا يقضونه في قراءة الصحف ومشاهدة التلفاز.

الرعاية الصحية في ثوبها الجديد

منذ تسعينيات القرن الماضي اكتنزت شبكة الإنترنت كمّاً هائلاً من المعلومات عن تجاربَ وحالاتٍ ومعضلاتٍ طبيةٍ والعلاج المناسب لها. بعض هذه المعلومات تفتقد للدقة ولا يمكن للمرضى الاعتماد عليها. وقد أثارت فكرة لجوء المرضى إلى "الدكتور جوجل" قبل الذهاب إلى الأطباء موجةً من الاستياء في أوساط المجتمع الطبي. وفي عام 2001 رفعت الجمعية الطبية الأمريكية شعار: "ثقوا في أطبَّائكم لا في غرف الدردشة"، وأكَّدت أنَّ المعلومات المتاحة على الإنترنت قد تُعرِّض حياةَ المرضى للخطر.

لكن المواقع الجديدة التي تعمل بنظام "ويب 2.0" فتحت للمرضى سياقاً جديداً لتلقي المعلومات. فهي تقدِّم نموذجاً مغايراً للمعرفة الطبية يسمَّى "الرعاية الصحية التعاونية". يقدم هذا النموذج نظاماً معرفياً أكثر أمناً. أهمُّ مكوِّن في هذا النموذج هو المدخلات التي يقدِّمها زوَّار المواقع الطبية. وهنا تلعب تقنية "ويب 2.0" دوراً بارزاً في صناعة الرعاية الصحية، فهي تمكِّن الناس من: تنظيم أنفسهم ذاتياً والإضافة إلى قاعدة المعرفة الصحية وتبادل المعلومات ودعم بعضهم بعضاً. وكما يتعاون الطلاب ويتعلَّمون عبر الإنترنت بمساعدة معلِّمين ومشرفين سيكون للمرضى وعامة المواطنين دورٌ حقيقيٌّ في البحث عن المعلومات المتعلِّقة بصحَّتهم وتبادل الخبرات مع المرضى الآخرين والتشاور مع المتخصِّصين في الرعاية الصحية ما سيؤدِّي إلى تقليل التكاليف واهتمام المرضى بصحَّتهم بشكل أفضل مع تحسين النتائج. هذا ما يحدث الآن بالفعل ولكن على نطاق محدود. وكلَّما اتسع هذا النطاق زادت النتائج الإيجابية المتوقَّعة منه.

تطبيق مبادئ الاقتصاد التعاوني في مجالك

يؤكد الاقتصاد التعاوني المفتوح "الويكينوميكس" حقيقتين متناقضتين: فأولاً: تبدو العديد من المؤسَّسات التي خدمتنا في العقود الماضية جامدة وغير قادرة على مواصلة التقدُّم. وثانياً: تلوحُ في الأفق إمكاناتٌ جديدةٌ لأشخاص يتمتَّعون بالحافز والخبرة التي تمكِّنهم من الاستفادة من الأدوات التي يتيحها الإنترنت والانخراط بشكل أعمق في جعل عالمنا مكاناً أكثر ازدهاراً واستدامة.

وهكذا يطرحُ اقتصاد التعاون المفتوح فكرة التجديد في مواجهة التجميد والصعود في مواجهة الصعود مما يُحتِّم على كل قائد أن يجيب بحسم عن السؤال التالي: هل أعيد تجديد وتشغيل النماذج والمناهج القديمة وتشكيلها وفق مبادىء التعاون الموسَّع والمفتوح؟ أم أكتفي بمراقبة المشهد وأنسحب من ميادين العالم الجديد؟

للتحول إلى نموذج الأعمال الجديد هناك ستة مبادىء وأسس لا بد من فهمها واتباعها كما يلي:

أولاً: بيئة التنظيم الذاتي

تستخدم بعض المؤسَّسات أسلوباً مكلفاً في إدارتها للإنترنت. فعندما تحتاج نظاماً لتحسين الأداء تبدأ بتقييم ما يحتاجونه ثمَّ تصمِّم النظام انطلاقاً من ذلك التقييم وتبدأ بالعمل به.

ثم تتبع نفس النهج مرة أخرى عند إضافة محتوى جديد سواءً كان موقعاً أو تطبيقاً على الإنترنت أو خدمةً جديدةً أو نظاماً لإدارة علاقات العملاء.

للنجاح في إدارة نموذج أعمال تعاوني مفتوح لا يمكنك اعتبار مؤسَّستك مقدماً لمحتوى أو مبادرة أو منتج أو خدمة فحسب. بل عليك التحوُّل إلى "منسِّق" يقدِّم للآخرين سياقاً أو منصَّـةً تسمح لفرق العمل الجديدة بالتنظيم الذاتي دون الحاجة إلى تدخُّلك المباشر والدائم. بهذا الفكر التعاوني المفتوح يمكنـك فقط ابتكار تطبيقات وتنفيذ مبادرات ذات قِيمة لك ولمجتمعك وللعالم أجمع.

ثانياً: أعِد النظر فيما هو سرِّي وما هو علَني

أشرنا فيما سبق إلى أهمية تخلِّي المؤسَّسات عن الانغلاق وحيوية الانفتاح ليس فقط بتوصيل المعلومات ذات الصلة لذوي المصالح ولكن أيضاً من خلال التشارك بالأفكار والأصول والمحتوى مع أطراف متعددة. ولا تقتصر مسألة المشاركة على مجرد التعامل مع الآخرين وإنَّما تمتدُّ لتشمل مشاركتهم في النمو والابتكار والعوائد.

تحتاج المؤسَّسات بالطبع إلى حماية ملكيتها الفكرية وميزتها التنافسية لكنَّها لن تتمكَّن من التعاون بفاعلية ومشاركة الآخرين إن احتكرت كلَّ أصولها الفكرية وأبقتها سرِّية وبمنأى عن الجميع. إذا أردت الدخول في عصر التعاون الرقمي والمشاركة فستحتاج إلى إعادة النظر في أولويات إدارتك لممتلكاتك الفكرية لتحدد أيها ستحافظ على سرِّيته وأيها يمكن فتحه وطرحه على الملأ ليفيد منه الجميع بأن تسمح لأكبر عدد من الأشخاص والجهات المتخصصة بالتفاعل بحرية مع أصولك المعرفية حتَّى يتمكَّنوا من البحث عن مشاريع وفرص جديدة للتعاون معك ومع غيرك.

ثالثاً: أرخِ قبضتك

أهم مفارقة في حقبة "الويكينوميكس" هي: "لكي تصبح قوياً وتفرض سيطرتك وتحافظ على مكانتك عليك أن ترخي قبضتك. ينطوي هذا على الكثير من الخطوات مثل منح موظفيك مزيداً من المرونة ليتمكَّنوا من الابتكار والعمل مع أقرانهم. أو تسجيل أفكار شركائك والمورِّدين والتعاون معهم بشكل وثيق في تصميم وتصنيع منتجات جديدة أو السماح للجمهور بمشاركتك بعض أصولك لتجذب عدداً أكبر من الأشخاص الذين سيقدِّمون لك بدورهم أفكاراً ورؤى جديدة أو السماح لجمهورك المتحمِّس بالعمل على نموِّ علامتك التجارية والترويج لها بالاستعانة بحملات تسويقية ينفِّذونها لأنفسهم ويموِّلونها بأنفسهم. وبالنسبة للمبادرات التعاونية الحكومية فسينطوي هذا على دعوة المواطنين والموظفين والمقيمين إلى المشاركة في الاقتراحات والابتكارات والإبداع في التفاعل مع السياسات الإبداعية المحلية والاستراتيجيات التنافسية الدولية.

رابعاً: شكِّل مجموعات القيادات

كي تتمكَّن من تسخير طاقات أولئك الأشخاص القادرين على تنظيم أنفسهم تحتاج أولاً إلى بناء منصَّات وإيجاد سياقات تُمكِّنهم من القيام بكل هذا. وقد لا يكون هذا كافياً. فلا يمكن لأيِّ مجتمع تعاوني أن يحقِّق نجاحات دون وجود القيادات. مهمَّة هؤلاء القادة هي وضع الرؤى والقيم التي سيعمل الآخرون وفقاً لها والمساعدة في إدارة التفاعل داخل المجموعات وجذب المزيد من الناس لهذا المجتمع المفتوح. هذه المجموعة الصغيرة من اللاعبين الرئيسيين تقوم بدور كبير وتوفِّر الدعم الاجتماعي والبنية التقنية التحتية التي يحتاجها المشاركون الآخرون لإنجاز نصيبهم من العمل. هذه المجموعات هي حجر الزاوية الذي تحتاجه لتكوِّن مجتمعاً ذاتيّ التنظيم.

خامساً: عزِّز ثقافة التعاون

أصعب تحدٍّ يواجهه كل من يريد الانتقال بمؤسَّسته ومجتمعه إلى عصر "الويكي" هو تعميق وتعزيز ثقافة التعاون داخل هذه المؤسَّسة والعاملين فيها. لتتمكَّن من هذا يجب أن تملك رغبة حقيقية في التعاون مع الآخرين. وهذا يعني التعامل بانفتاح مع الأفكار الجديدة بغضِّ النظر عن مصدرها بدلاً من تجاهلها أو انتظار الفرصة المناسبة لتقويضها. كما يعني التخلِّي عن غريزة الإفراط في حماية ممتلكاتك الفكرية مع توفير البيئة الملائمة لتدفُّق الأفكار والمعلومات بحريَّة داخل مؤسَّستك. كما ستحتاج إلى التخلِّي عن هياكل ونظم العمل الهرمية وتشجيع العاملين على التحدُّث بعضهم مع بعض على اختلاف مناصبهم وإداراتهم. وعلى الرؤساء التنفيذيين وكبار الفنيين أن يتحلَّوا هم أولاً بهذه القيم ليشجِّعوا مرؤوسيهم على تبنِّيها مثلهم.

سادسا : مكّن جيل الإنترنت

أشرِك الشباب المبادرين والمنفتحين والمتميزين فهم الأبطال الرئيسيون في الحرب الرقمية التي يشهدها العالم اليوم. تابع أعمالهم وأوجد حالةً من الزخم في سلوكهم وأساليب عملهم وعمِّق مفاهم وأهمية التغيير في داخلهم وتخلَّص من النماذج القديمة في التعاون والتفكير والتنفيذ الجمعي لتمكِّنهم من الابتكار والتجديد والتحسين المستمر.

مستقبل اقتصاديات التعاون والمشاركة

ما نستخلصه ونتعلَّمه من اقتصاديات التعاون ونظم الأعمال المفتوحة "الويكي" هو أنَّ الأفراد والمؤسَّسات والمجتمعات المغلقة والتي تركِّز على نفسها فقط وتعمل بفكر احتكاري يعزلها عن الآخرين هي في سبيلها إلى الاندثار. قد يبدو عصر التعاون والأداء الجماعي غير مألوف في بدايته وغامضاً بعض الشيء إلا أنَّه على قادة المستقبل تبنِّي الفكر التعاوني وعلى المجتمعات والمؤسسات الرائدة إفساح الطريق أمام القدرات المتفرِّدة للعمل في جوٍّ من المشاركة تسوده المبادرات الذاتية والتعاون على مستويات: التفكير والتخطيط والتطبيق. هذا هو صميم عالم الأعمال الموسَّع والمفتوح.

المؤلفـان:

دون تابسكوت: رجل أعمال تعاوني منفتح، يقدِّم استشارات في استراتيجيات الأعمال والمجتمع في العصر الرقمي.

أنتوني ويليامز: خبير في الابتكار التعاوني، ومؤلف مشارك في كتاب (ويكينوميكس) الذي حقَّق مبيعات عالية في مختلف اللغات.

كتب مشابهة:

1. **The Mesh**
   Why the Future of Business Is Sharing.
   By: Lisa Gansky, 2012

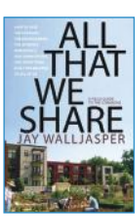

2. **All That We Share**
   How to Save the Economy, The Environment ... Our Communities and Everything Else that Belongs to All of Us.
   By: Jay Walljasper & Bill McKibben, 2010

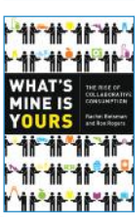

3. **What's Mine Is Yours**
   The Rise of Collaborative Consumption.
   By: Rachel Botsman & Roo Rogers, 2010

"للمشاركة في التعاون الرقمي، أعد النظر في إدارتك للملكية الفكرية وحدِّد أيها ستحافظ على سرِّيته وأيها يمكن فتحه وطرحه على الملأ. عندما تسمح للعالم بالتفاعل مع أصولك المعرفية بأريحية ستنبثق فرص جديدة وتنطلق مشاريع مفيدة لك ولمؤسستك وللعالم أجمع"

دون تابسكوت

يعتمد نجاح منطقتنا على بناء بيئة معرفية

صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID AL MAKTOUM FOUNDATION

ص.ب: 214444
دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف 044233444
نستقبل آراءكم على pr@mbrf.ae
www.mbrf.ae

للتواصل الاجتماعي وفق التالي:

mbrf_news

mbrf_news

mbrf.ae

© جميع الحقوق محفوظة